الاستيطاني في فلسطين من ناحية اخرى · ولم يمر الا عقد على حركة الاستيطان هذه حتى بدا كأنها تقترب من نهاية طريق مسدود ·

لم يغب هذا الوضع عن بال هرتسل ، ولم يحظ باعجابه ، عندما انطلق لوضع نظرياته الصهيونية · ولذلك اعلن في كتابه « دولة اليهود » انه « لا يعتبر المسألة اليهودية قضية اجتماعية او دينية ، رغم أنها تلبس هذا الطابع او ذاك ، من حين الى اخر · انها مسألة قومية ، ولكي نحلها ينبغي ان نجعلها قضية سياسية عالمية ، بحاجة الى حل في مجلس يمثل الشعوب المتمدنة » (٤) · وليس هناك من حل الا اقامة الدولة اليهودية ، « ولدينا بالطبع القوة لبناء دولة ـ ودولة مثالية ، ولدينا كل الادوات ··· الضرورية لذلك » (٥) · وتقام تلك الدولة بعد ان « تمنح لنا السيادة على منطقة ما على وجه الارض ، تكون كافية لمتطلبات شعبنا المشروعة · وسنقوم بتدبير ما تبقى بانفسنا » (٦) · وكان هرتسل ، خلال نشاطه في خدمة الصهيونية ، قد بذل فعلا جهودا كبيرة للحصول على « السيادة على منطقة ما على وجه الارض » ـ ولكن دون نتيجة ·

جوبهت اراء هرتسل الصهيونية « السياسية » هذه بمعارضة من قبل دوائر صهيونية عدة ، الا ان ذلك لم يثنه عن عزمه ولم يحمله على تغيير مواقفه ، النظرية او العملية · ففي خطاب الافتتاح امام المؤتمر الصهيوني الاول (١٨٩٧) ، اعلن هرتسل انه « لا يمكن ان نتبع الطرق السرية والوساطات الخفية غير المباشرة [كطريقة لاقامة الدولة اليهودية] ، بل المفاوضات الحرة الخاضعة للرقابة الدائمة والعاقلة من قبل الرأي العام ·· ولن تحقق الصهيونية اهدافها الا بالبحث العلني مع الدوائر السياسية المعنية ··· لقد وصل الاستيطان [اليهودي في فلسطين] ، حتى الان ، الى اقصى ما يمكن الوصول اليه ، وفقا لطبيعته ··· ولكن هذا ليس حلا للمسألة اليهودية ، ولا يمكن ان يكون حلا بشكله الحالي » (٧) · وفي مناسبة اخرى ، كتب هرتسل لنورداو : « انني اعارض التسلل [اليهودي الى فلسطين] ، لانه عديم الفائدة، يخضع لرحمة او غضب اي باشا ، ويبقى دائما عرضة لفرض القيود عليه »(٨)· وفي خطابه الافتتاحي امام المؤتمر الصهيوني الخامس (١٩٠١) ايضا ، شن هرتسل هجوما عنيفا على« هواة صهيون » والصهيونيين « العمليين » ، معلنا « ان موقفنا من الصهيونيين القدامى يشبه موقف اولئك الذين يدخلون تعديلات حديثة على ماكينة قديمة ، غير قابلة للاستعمال · الاحترام كله للماكينة القديمة ، ولكن مكانها في المتحف · لقد فشل الاستيطان القائم على الصدقات ، اما الاستيطان القومي فسينجح » (٩) ·

اما نورداو فقد كان اعنف من هرتسل ، في هجومه على الصهيونيين « العمليين » وهواة صهيون : « انني احتج بعنف وبكل قوة ـ هكذا كتب في